لله ثم للتاريخ (5).. #شهادة_حذيفة_عزام على حوادث #جبهة_النصرة
الكاتب : حذيفة عبد الله عزام
التاريخ : 20 مارس 2016 م
المشاهدات : 11870

"بداية الخلاف بين البغدادي والجولاني وبدء سيطرة الغلاة في جبهة النصرة"

الحمد لله القائل في كتابه: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا" وصلى الله وسلم على الصادق الأمين القائل: "لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم" اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، ولا فهم لنا إلا ما فهمتنا إنك أنت الجواد الكريم، اللهم إني أستغفرك من ظلمي وجهلي وأستهديك فاهدني وقومني وارزقني الإخلاص في القول والعمل يا رب.

كنت أتحدث بالأمس عن بيت النصرة الداخلي وبدايتها على أرض الشام المباركة وأستأنف اليوم من حيث انتهيت بالأمس.

من البطانة (الصالحة الناصحة) التي أحاطت بالشيخ الجولاني، الشيخ الشهيد بإذن الله عمار السيد (أبو محمد الشرعي) شرعي حلب وهو صاحب نهج قويم وفكر سليم وكان يعارض الجولاني في كثير من الأمور.

إذن دائرة الشيخ الجولاني الخاصة التي كانت حوله في البداية من المهاجرين أبو مارية القحطاني وأبو عماد الجزراوي ومن أهل سوريا صالح الحموي والشيخ عمار السيد رحمه الله.

ثم جاءت الحلقة الثانية حيث التحق أبو أحمد (ذكور) وبعدها بقرابة سبعة أشهر التحق (عبدالله) وهذه الدائرة التي كانت حول الفاتح الجولاني قبل دخول البغدادي، لأن دخوله سيؤسس لحقبة جديدة ويخلط الحابل بالنابل إضافة إلى من ذكرت في أواخر الجزء الرابع من شهادتي، وأذكّر به وهو الشرعي (أبو محمد عطون) الذي لم يكن عضو مجلس شورى ولم يكن عضو لجنة شرعية بل بدأ بروزه قبل إعلان الدولة الإسلامية بشهرين.
وأقصد قبل إعلان البغدادي حل جبهة النصرة وإعلان دمجها في الدولة الإسلامية في العراق تحت مسمى (الدولة الإسلامية في العراق والشام) بشهرين، حيث بدأ الخلاف بين البغدادي والجولاني قبل إعلان البغدادي بشهرين أما أبو هاجر الحمصي فقد كان مسؤولاً للمضافة في إدلب ثم تم نقله ـ لاحقاً ـ إلى حلب، وممن كان يرافق الشيخ الجولاني مثل ظله لا يفارقه (أبو أحمد حدود) فهو المسؤول عن تنقلاته اليومية واستئجار البيوت له، وممن كان يلازمه ولا يفارقه شاب صغير السن هو (أبو عائشة) وكان الإعلامي العام آنذاك.

وما يهمنا من جميع الأسماء التي ذكرت الشيخ أبو مارية القحطاني والشيخ صالح الحموي والشيخ عمار السيد وأبو عماد الجزراوي حيث أن البقية ليسوا حملة فكر بل إن بعضهم أميون، ومن حملة الفكر المؤثرين أيضاً وإن كان متأخراً عمن ذكرت أعلاه الشيخ الشهيد ـ بإذن الله ـ معاوية حاج أحمد المشهور بالدكتور (أبي خالد)، وكان الشيخان عمار السيد والدكتور أبو خالد يختلفان مع الجولاني في قضايا؛ منها أنهما كانا لا يكفران عوام الشيعة، وينتقدان نهج وسلوك الدولة الإسلامية في العراق، وينتقدان التبعية لخراسان، واحتدم الخلاف بينهما وبين (أبي عماد الجزراوي) حين عينه الشيخ الجولاني أميراً على إدلب ـ وكان الجولاني لا يزال في الشام آنذاك لم ينتقل بعد إلى الشمال السوري ـ فعين أبا عماد الجزراوي ـ وهو كما ذكرت آنفاً ممن التحق بالبغدادي بعد الخلاف وعُين أميراً للبادية ثم قتل ـ أميراً على إدلب، وكان أن

أرسل أبو عماد الجزراوي مفخخات إلى مدينة إدلب استهدفت المخابرات الجوية وكان معظم قتلاها وجرحاها من المدنيين، فاحتدم الخلاف بين الشيخين أبي عمار وأبي خالد وبين أبي عماد الجزراوي ورُفع الأمر للجولاني وكان في الشام فأمر بنقل الشيخين إلى حلب ـ فضاً للنزاع ـ وقادا المعارك في صلاح الدين وسيف الدولة في حلب فقتل الدكتور أبوخالد (معاوية حاج أحمد) بطلقة قناص وبعد أسبوع تبعه توأم روحه وحبيبه الشيخ عمار السيد رحمهما الله تعالى.

وهنا نلحظ أن تيار الغلو الذي جاء من العراق كان مكبلاً، وحين كان يتفلت كان أهل العلم والفكر من أهل الشام والمهاجرين يهبّون في وجهه ويوقفونه عند حده، وسارت الأمور على هذا النحو وكانت جبهة النصرة في جل تحركاتها منضبطة بالشرع، وكان الغلاة الذين قيدهم أهل الرأي والفكر في الشام يرفعون التقارير للبغدادي أولاً بأول عن هذا التوجه الجديد الذي لم يألفوه ولم يعرفوه في العراق، وعدوه خروجاً على نهج الدولة في العراق وسلوكها وتنكباً من الجولاني لذلك الطريق، وخروجاً عن مخطط الدولة الإسلامية في العراق الذي أرسل الجولاني إلى الشام قصد إتمامه وتوسيع رقعة الدولة وامتدادها الجغرافي نحو الشام.

ولم ينتظر البغدادي طويلاً ـ بعد توالي التقارير المرفوعة من (الغلاة المقيدين) ـ فحزم أمتعته ودخل إلى سوريا سراً ومكث ستة أشهر يتنقل بين المناطق، فضمن البيعات واستوثق من ولاء الأمراء ثم أعلن عن وجوده وأرسل إلى الجولاني أنه سيحل جبهة النصرة ويعيدها إلى حاضرة الدولة، وطالبه بالانصياع له وإعادة جميع ممتلكات النصرة للدولة صاحبة المشروع وداعمة الفرع الجديد لها في الشام، وأقصد جبهة النصرة.

وهنا ابتدأت حقبة جديدة من التاريخ في عمر الثورة السورية، فالجولاني إما أن يسلم جميع ما لديه وإما أن يصادم الدولة، فرفع ملف الخلاف للظواهري وطلب إليه أن يفصل في الأمر، ولم ينتظرالبغدادي رد الظواهري فبدأ يستولي على المقرات والسلاح بالقوة، وأمر الجولاني أتباعه ومن تبقى معه بعدم الصدام، وبالفعل سلمت مستودعات ومقرات دون قتال، وبت الظواهري في الخلاف وأمر ببقاء النصرة في الشام وعودة الدولة إلى العراق فهذا فرع وذاك فرع.

اعتبر البغدادي أن الظواهري انتصر للجولاني وأنه يحرض الجند على أمرائهم وأنه خالف ببته في الأمر على هذه الشاكلة الشرع.

كان لهذا الحدث أثر بالغ على الثورة السورية المباركة لن تتضح آثاره في الأيام الأولى للخلاف والنزاع لأن النصرة خرجت منه ضعيفة مضعضعة، فقد حاز البغدادي على معظم عتادها وسحب منها أمراء وخبراء وكانت بحاجة إلى فترة نقاهة لتلملم شعثها وتجمع شتاتها وتقف على أقدامها من جديد، وكانت بأمس الحاجة للانفتاح على الفصائل لتستعين بهم في مصابها وما ألم بها.

هنا يستطيع القارئ أن يلمس بوضوح أن وجود البطانة الصالحة الناصحة من أهل سوريا ومن خارجها حالت دون أن تسير النصرة بمنهج الدولة وفكرها الذي تشربه عناصر ممن دخلوا مع الجولاني وتشبعوا به وتأثر به آخرون ومنهم الشيخ الجولاني نفسه، ووقف آخرون في وجهه وكانوا الأكثرية في البدايات، وكان الشيخ الجولاني ينزل على رأيهم ودفع ومعه جبهة النصرة ثمن ذلك غالياً على يد البغدادي ودولته.

رفض البغدادي قرار الظواهري وبدأت مرحلة صراع بين جناحي تنظيم القاعدة، وهو أول صراع فكري على أرض الشام تسيل فيه الدماء في عمر الثورة السورية المباركة، وهنا بدأ الضخ والتحشيد والاستنصار من كلا الفريقين لإثبات أنه على الحق وصلت حد المباهلة، وبدأ الجولاني بتوزيع من تبقى معه من كوادر على المحافظات للحفاظ على استمرارية العمل

وعلى عناصر الجبهة في ظل تغول البغدادي على جبهة النصرة واستمرار حملته على مقدراتها، فأوفد الجولاني أبا مارية إلى الشرقية وعين صالح الحموي أميراً للبادية شرق حمص، وكان الشيخان أبو محمد وأبو خالد قد استشهدا قبلها بعام تقريباً في معارك حلب، وبدأ الصف الثاني يأخذ مكان الصف الأول في جبهة النصرة، وبدأ الوافدون يفدون من الخارج زرافات ووحداناً ويلتحقون بكلا الفريقين، وكانت النصرة بحاجة إلى كل صوت وإلى فتح باب انضمام على مصراعيه، فالتحق أبو فراس نموس في الشهر السابع عام 2013، والتحق أبو الفرج المصري في الشهر الثالث من عام 2014، وهؤلاء اعتبرتهم النصرة مكسباً كبيرا لها لما للرجلين من سابقة.

في هذه الحقبة اختلط الحابل بالنابل، فالنصرة مضطرة للتجنيد لتصمد في وجه حملة البغدادي الشرسة ولتعوض النقص الحاصل، أضف إلى ذلك ماكينة البغدادي الإعلامية التي كانت تسعى لاستقطاب من تبقى من عناصر النصرة بتشويهها بأن الجولاني ناقض بيعة، وأنه ومن حوله مفرّطون مميّعون تخلوا عن الثوابت وتنكبوا طريق الجهاد السوي وتركوا نهج القادة، وصولاً إلى الخطاب التكفيري المغالي الهادف لإحراج النصرة أمام أتباعها.

مما مضى نخلص إلى أسباب جوهرية أدت إلى انقلاب دراماتيكي سيكون له انعكاس سلبي على مسيرة النصرة في قادم أيامها:

أولها: البغدادي ودخوله للشام.

وثانيها: ذهاب الكوادر التي كانت تحيط بالجولاني بين شهيد وموفد لتغطية النقص الحاصل الذي نجم عن تغول البغدادي.

وثالثها: مزايدات الدولة في خطاباتها لإحراج النصرة أمام عناصرها ومحاولة غسل أدمغتهم وجرهم إلى خطاب مزايدات، وقد حصل هذا بالفعل وبدأت خطابات النصرة ـ مضطرة أو مختارة ـ تجنح نحو الغلو واستُعين لأجل هذه المهمة بأصوات جديدة ووجوه جديدة، وأدت المهمة على أكمل وجه وتغيرت نبرة الخطاب ولهجته؛ مما ترك أبلغ الأثر على عناصر النصرة، ولم تستطع النصرة منذ تلك اللحظة وإلى يومنا هذا أن تعيد نبرة خطابها سيرته الأولى، بل ما زال سجال خطاب الغلو بينهم وبين داعش على أشده.

أتوقف هنا وأتم غداً بمشيئة الله تعالى إن كتب الله لي عمراً لأتحدث عن انعكاسات هذه الأحداث على منهج النصرة وصولاً إلى سيطرة الغلاة على مفاصلها.

نور سورية

المصادر: